

مصباح علاء الدين

مِصْبَاحُ عَلاءِ الدِّين

في قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ في مَدِينَةٍ مِنْ مُدُنِ الصِّينِ أَرْمَلَةٌ تَعِيشُ مَعَ وَحِيدِهَا في كُوخٍ حَقِيرٍ. وَكَانَتْ تَعِيشُ هِيَ وَوَلَدُهَا عَلاءُ الدينِ مِنَ الخِدْمَةِ في البُيُوتِ المُجَاوِرَةِ .

وَظَلَّ عَلاءُ الدِّينِ يَقْضِي أَيَّامَهُ في اللَّهْوِ مَعَ أَتْرَابِهِ حَتَّى صَارَ فَتًى في الخَامِسَةَ عَشْرَةَ . وَأُمُّهُ لَا تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ صِنَاعَةً يَدَوِيَّةً يَكْسَبُ بِهَا رِزْقَهُ اليَوْمَ وَرِزْقَ عِيَالِهِ في المُسْتَقْبَلِ مَعَ ذَلِكَ ، كَانَتْ تَرْجُو أَنْ يَصِيرَ ابْنُهَا يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ رَجُلًا غَنِيًّا مَعْرُوفاً .

بَيْنَمَا كَانَ عَلاءُ الدِّينِ ذَاتَ يَوْمٍ يَلْعَبُ مَعَ رِفَاقِهِ في سَاحَةِ الحَيِّ ، لَاحَظَ رَجُلًا غَرِيبَ الزِّيِّ يُرَاقِبُهُ .

كَانَ ذَاكَ الغَرِيبُ طَوِيلَ القَامَةِ ، حَسَنَ اللِّبَاسِ ، بِلِحْيَةٍ طَوِيلَةٍ مُرَوَّسَةٍ كَالذَّنَبِ ، وشَارِبَيْنِ طَوِيلَيْنِ نَازِلَيْنِ حَتَّى أَسْفَلِ ذَقْنِهِ . فَرَاحَ الأَوْلَادُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ مُسْتَغْرِبِينَ .





فَلَمَّا انْفَرَدَ بِعَلَاءِ الدِّينِ أَخَذَ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ بِلَهْجَةٍ مُهَذَّبَةٍ رَقِيقَةٍ . فَكَانَ عَلَاءُ يُجِيبُ عَلَى أَسْئِلَةِ الرَّجُلِ بِصِدْقٍ ، لَا يُخْفِي مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً .

أَخِيراً ، قَالَ الغَرِيبُ لِعَلَاءٍ: هَلْ تَسْمَحُ لِي بِأَنْ أُرَافِقَكَ إِلى بَيْتِكُمْ ، فَأَتَنَاوَلَ مَعَكُمْ طَعَامَ العَشَاءِ؟

أَجَابَ عَلَاءُ الدِّينِ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ: «أَخْشَى يَا سَيِّدِي أَنْ لَا تَجِدَ فِي بَيْتِنَا مَا يَكْفِيكَ مِنَ الطَّعَامِ »

قَالَ الرَّجُلُ: « مَا أَسْهَلَ أَن نَتَدَبَّرَ هٰذَا يَا بُنَيَّ . هَلِ السُّوقُ بَعِيدَةٌ عَنِ البَيْتِ؟ »

ـ السُّوقُ قَرِيبَةٌ مِنْ بَيْتِنَا .

قَالَ عَلَاءُ الدِّينِ هٰذَا ، وَظَلَّ يَمْشِي قُدَّامَ الغَرِيبِ . وَعَرَّجَا عَلَى دُكَّانٍ ابْتَاعَ الرَّجُلُ مِنْهَا شَيْئاً وَافِراً مِن مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ ، وَفَاكِهَةٍ وَمَضَى بِهَا وَعَلَاءِ الدِّينِ إِلى البَيْتِ .

فُوجِئَتْ أُمُّ عَلَاءٍ بِمَظْهَرِ الرَّجُلِ الغَرِيبِ ، وَشَقَّ عَلَيْهَا أَنْ تُكَوِّنَ فِكْرَةً عَنْهُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ . لٰكِن ، سَرَّهَا أَنْ تَجِدَ لَدَيْهَا شَيْئاً وَافِراً مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَفَاكِهَةٍ . مَعَ ذٰلِكَ ، لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُفَسِّرَ لِمَاذَا تَشْعُرُ بِخَوْفٍ مِنْهُ. لَعَلَّ ابْتِسَامَتَهُ المُصْطَنَعَةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تُزْعِجُهَا وَتُقْلِقُهَا. وَظَلَّتْ تُرَاقِبُهُ بِحَذَرٍ ، وَلَا تَتَحَدَّثُ إِلَّا قَلِيلًا .

بَعْدَمَا رُفِعَتِ المَائِدَةُ أَخَذَ الرَّجُلُ الغَرِيبُ يَتَحَدَّثُ بِحَرَارَةٍ ، مُتَظَاهِراً بِالغَيْرَةِ وَالمَحَبَّةِ . وَقَالَ لِلْأَرْمَلَةِ:

ـ الآنَ أَكْشِفُ لَكِ نَفْسِي . إِنِّي الأَخُ الأَكْبَرُ لِزَوْجِكِ أَخِي الحَبِيبِ الذي فَقَدْنَاهُ فِي رَبِيعِ العُمْرِ . فَأَجَابَتِ المَرْأَةُ مُسْتَغْرِبَةً : «إِنَّ زَوْجِي لَيْسَ لَهُ أُخْوَةٌ . أَنَا لَا أَعْرِفُ لَهُ أَخاً أَكْبَرَ مِنْهُ وَلَا أَصْغَرَ» .

فتكلفَ الرَّجُلُ الأسفَ . وادعَى أنَّهُ سافرَ إلى أفريقيا مُنذُ أربَعِين عاماً . وكانَ أخوهُ زَوْجُهَا في مِثْلِ عُمْرِ وَلَدِهِ علاءٍ ، قَدْ يَكُونُ نَسِيَ أَنْ يُخبِرَهَا عَنْ أخِيهِ الأكبر . ثُمَّ قصَّ عَلَيْهَا أَنَّهُ اشْتَاقَ إلى وَطَنِهِ بعْدَمَا جمعَ ثرْوَةً عظيمَةً . وأَنَّهُ عرَفَ عَلاءَ الدِّينِ مِنْ مَلامِحِ أَبِيهِ الَّتِي يَتَذَكَّرُهَا .

ثُمَّ طوَّقَ عَلاءَ بِذِرَاعِهِ ، بِإِسْلُوبٍ عَاطِفِيٍّ ، وَقَالَ إِنَّهُ سَيَجْعَلُهُ وَرِيثَهِ . وَلَنْ يَتْرُكَ أُمَّ عَلاءٍ تَخْدُمُ النَّاسَ بَعْدَ اليَوْمِ .

ثُمَّ مَضَى إلى السُّوقِ واشْتَرَى ثِيَاباً جَدِيدَةً لِعَلاءِ الدِّينِ وَلأُمِّهِ . فَلَبسَ عَلاءُ ثَوْبَ الحَرِيرِ وَبَدَا كَأَنَّهُ مِن أَبْنَاءِ المُلُوكِ . وَغَمَرَ البَيْتَ بالعَطَاءِ والهَدَايا حَتَّى صَدَّقَتِ المَرْأَةُ بِأَنَّهُ عَمُّ وَلَدِهَا .

في ذَاتِ يَوْمٍ أَقْبَلَ هٰذَا العَمُّ عِنْدَ مَطْلَعِ الفَجْرِ وَأَيْقَظَ عَلاءَ الدِّينِ بِحُجَّةِ أَنَّهُ يُرِيدُهُ لِأَمْرٍ ذِي أَهَمِّيَّةٍ حَصَلَ بَغْتَةً ، فَبَادَرَ الفَتَى إلى ثِيَابِهِ فَلَبِسَهَا ، وَتَبِعَ الرَّجُلَ إلى خَارِجِ المَدِينَةِ ثُمَّ سَارَا في طَرِيقٍ انْتَهَى بِهِمَا إلى سَفْحِ جَبَلٍ عَظِيمٍ حَيْثُ انْتَصَبَ أَمَامَهُمَا صَخْرٌ مُسَنَّنٌ جَبَّارٌ .





وَهُنا طَلَبَ الرَّجُلُ مِنْ عَلاءِ الدِّينِ أَنْ يَجْمَعَ بَقَايَا أَغْصَانٍ لِيُضْرِمَ نَاراً . وَلَمَّا اجْتَمَعَتْ أَمَامَ الرَّجُلِ كَوْمَةٌ مِنَ الأَغْصانِ اليَابِسَةِ أَضْرَمَ نَاراً لَاهِبَةً أَصْعَدَتْ أَصواتاً مُخِيفَةً . حِينَئِذٍ أَخْرَجَ الرَّجُلُ مِنْ كُمِّهِ الوَاسِعَةِ عُلْبَةً فَتَحَهَا ، وَرَشَّ مِنْهَا مَسْحُوقاً أَسْوَدَ عَلى النَّارِ المُشْتَعِلَةِ . وَأَخَذَ يُغَمْغِمُ أَلْفَاظاً سِحْرِيَّةً . فَرَاحَ الصَّخْرُ المُسَنَّنُ يَتَحَرَّكُ ، شَيْئاً فَشَيْئاً ، ثُمَّ وَقَفَ إلى جَانِبٍ . فانْفَتَحَ في مَكَانِهِ دَرَجٌ صَخْرِيٌّ يَنْحَدِرُ إلى أَعْمَاقِ الأَرْضِ . فَبَادَرَ الرَّجُلُ الغَرِيبُ – وَقَدْ عَرَفَ عَلاءُ الدِّينِ أَنَّهُ سَاحِرٌ – الغُلَامَ قَائِلًا : « إِنْحَدِرْ على هٰذَا الدَّرَجِ ، إِنْحَدِرْ حَتَّى تَنْتَهِيَ إلى الأَعْمَاقِ ، حَيْثُ تَجِدُ بَاباً . إِفْتَحْـهُ حالًا . إِمْشِ مُسْرِعاً دَاخِلَ غُرَفٍ ثَلَاثٍ . في الغُرْفَةِ الأُولى تَجِدُ جِرَاراً مَلْأَى بِنُقُودٍ نُحَاسِيَّةٍ وَفي الثَّانِيَةِ تَجِدُ جِرَاراً مَلْأَى بِنُقُودٍ فِضِّيَّةٍ ، وَالثَّالِثَةِ بِنُقُودٍ ذَهَبِيَّةٍ . إِيَّاكَ أَنْ تَمَسَّ قِطْعَةً مِن هٰذِهِ النُّقُودِ . فَإِنْ فَعَلْتَ مَوْتاً تَمُتْ في الحَالِ .

مِنْ هٰذِهِ الغُرَفِ تَخْرُجُ إلى حَدِيقَةٍ مَلْأَى بِأَشْجَارٍ تَنْحَنِي تَحْتَ ثِقْلِ أَثْمَارٍ مِنْ جَوَاهِرَ لَامِعَةٍ . إِيَّاكَ أَنْ تَمَسَّ هٰذِهِ الأَثْمَارَ . بَلْ حَدِّقْ إلى الأَرْضِ تَرَ هُنَاكَ مِصْباحاً عَتِيقاً . إِلْتَقِطِ المِصْبَاحَ وَعُدْ إِلَيَّ في الحَالِ . لأَنَّ الصَّخْرَ لا يَبْقَى مُعَلَّقاً هٰكَذا ، لِوَقْتٍ طَوِيلٍ . إِنْزِلِ الآنَ وَلَا تَمْكُثْ بَعْـدُ لَحْظَةً وَاحِدَةً وَإِلَّا هَلَكْنا . فَقَالَ عَلاءُ الدِّينِ بِصَوْتٍ يَرْتَجِفُ مِنَ الخَوْفِ : « كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَن أَطْمَئِنَّ إلى سَلَامَتِي يا عَمِّي العَزِيز ؟ أَجَابَ السَّاحِرُ بِلَهْجَةِ مَنْ نَفِدَ صَبْرُهُ : « دُونَكَ خَاتَمِي أَدْخِلْهُ في إِصْبِعِكَ يَحْفَظْكَ مِنْ كُلِّ أَذًى إِنْ أَسْرَعْتَ .

مَا كَادَ عَلاءُ الدِّينِ يُدْخِلُ الخَاتَمَ في إصْبعِهِ حَتَّى دَفَعَهُ السَّاحِرُ نُزُولًا على الدَّرَجِ . فَوَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ كَمَا قَالَ السَّاحِرُ . وَلكِنَّهُ ارتَعَدَ مِنَ الخَوْفِ لَمَّا وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى الجِرَارِ المَمْلُوءَةِ بالنُّقُودِ في الغُرَفِ الثَّلاثِ . فَأَسْرَعَ إلى الحَدِيقَةِ ، وَالْتَقَطَ مِصْباحاً عَتِيقاً قَذِراً وَجَدَهُ عَلَى الأَرْضِ أَمَامَهُ . وَاسْتَدَارَ لِيَرْكُضَ بِهِ .

وَلَكِنَّهُ سَمِعَ صَوْتاً نَاعِماً يَتَنَغَّمُ ، وَرَاحَ نَسِيمٌ لَطِيفٌ يُلَامِسُ أَغْصَانَ الأَشْجَارِ المُثْقَلَةَ بِأَثْمَارٍ مِنَ الدُّرَرِ وَالجَوَاهِرِ المُخْتَلِفَةِ: مِنْ إجَّاصٍ زُمُرُّدِيٍّ ، إلى تُفَّاحٍ قِرْمِزِيٍّ ، إلى كَرَزٍ مِنْ يَاقُوتٍ ، إلى دُرَّاقٍ مِن حَجَرِ الشَّمْسِ ، إلى غَيْرِهَا مِنَ الأَثْمَارِ الدُّرَرِ مِن كُلِّ لَوْنٍ .





فَتَوَقَّفَ عَلاءُ الدِّينِ لِيَقْطِفَ شَيْئاً مِنْ هٰذِهِ الأَثْمارِ وَيَمْلأَ بِها جُيُوبَهُ وَأَكْمامَهُ، ثُمَّ أَسْرَعَ لِيَخْرُجَ مِنَ الغُرَفِ فَيَصِلَ إلى الدَّرَجِ.

فَمَا كَادَ يَطَأُ الدَّرَجَةَ السُّفْلَى لِيَبْدَأَ في الصُّعُودِ، حَتَّى نَادَاهُ السَّاحِرُ قائِلًا:

«المِصْبَاحُ يا عَلاءُ! إِرْمِ لِيَ المِصْبَاحَ! أَسْرِعْ»

– مَهْلًا حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ يا عَمَّاهُ!

فاحْتَدَمَ السَّاحِرُ غَضَباً وَصَرَخَ:

– أَلْقِ بِهِ إِلَيَّ أَيُّهَا العَبْدُ الحَقِيرُ! أَسْرِعْ أَيُّهَا الوَغْدُ اللَّئِيمُ! وَأَنْشَأَ يُرَدِّدُ مِثْلَ هٰذِهِ العِبَارَاتِ الهَائِجَةِ، نَاسِياً كَلامَهُ المُهَذَّبَ، لِأَنَّ الأَرْضَ كَانَتْ تَهْتَزُّ حَوْلَهُ وَتَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَكَانَ الصَّخْرُ يُهَدِّدُ بِالعَوْدَةِ إِلى مَكَانِهِ.

فَهَتَفَ عَلاءُ مُسْتَرْحِماً:

– أَمَا تُمْهِلُنِي يَا عَمَّاهُ حَتَّى أَصِلَ إِلى أَعْلَى الدَّرَجِ فَأَنْجُوَ مِنَ الخَطَرِ؟

لكن، ما الفائِدَةُ مِنَ التَّفْكِيرِ في هٰذِهِ الأُمُورِ الآنَ؟ عَمَّا قَرِيب في هٰذا المَكَانِ المُغْلَقِ المُظْلِمِ سَيَمُوتُ جُوعاً وَعَطَشاً.

فَبَكَى، وَتَنَهَّدَ مُتَحَسِّراً، ثُمَّ رَكَعَ يُرِيدُ الصَّلاةَ.



- أَلْقِ المِصْبَاحَ إليَّ أوَّلاً ! المِصْبَاحَ أوَّلاً ... ! بِهٰذَا جَأَرَ السَّاحِرُ ، وَلَكِنَّ عَلاءَ الدِّينِ ظَلَّ يَرْكُضُ صَاعِداً الدَّرَجَ .

كَانَ الصَّخْرُ قدْ أخَذَ يَتَحَرَّكُ ، وَالأَرْضُ تَضْطَرِبُ بِقُوَّةٍ ، فَإِذَا بالفَتَى يَتَدَحْرَجُ إلى أسْفَلِ الدَّرَجِ ، وَسُمِعَ صَوْتُ انْغِلَاقِ الصَّخْرِ في قَلْبِ الجَبَلِ .

فَبَقِيَ عَلَاءُ الدِّينِ فَتْرَةً ، مُدْهَشاً ، حَائِراً .

أخيراً فَتَحَ عَيْنَيْهِ ،وَنَظَرَ إلى مَا حَوْلَهُ ، فَأَدْرَكَ مَكِيدَةَ السَّاحِرِ اللَّعِينِ .

فَقَدِ انْتَحَلَ الرَّجُلُ الشِّرِّيرُ صِفَةَ عمٍّ عَلَاءٍ لِغَايَةٍ وَاحِدَةٍ ، هِيَ الحُصُولُ بِوَاسِطَتِهِ عَلَى المِصْبَاحِ فَحَسْبُ . وَلَا يُرِيدُهُ أَبَداً أنْ يَنْفُذَ إلى سَطْحِ الأَرْضِ .

قَضَى عَلَاءُ الدِّينِ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً يُفَكِّرُ فِي أَيَّامٍ ضَيَّعَهَا في اللَّهْوِ وَالكَسَلِ .



فَمَا كَادَ عَلَاءُ الدِّينِ يَضُمُّ يَداً إِلى يَد مُتَخَشِّعاً ، حَتَّى حَدَثَ احْتِكَاكٌ في الخَاتَمِ الَّذي أَدْخَلَهُ السَّاحِرُ في إِصْبعِهِ.
فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ظَهَرَ أَمَامَهُ جِنِّيٌّ هَائِلُ المَنْظَرِ وَهَدَرَ قَائِلًا :
«لَبَيْكَ ! عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ . مُرْنِي بِمَا تَشَاءُ !»
فَارْتَعَدَ عَلَاءُ الدِّينِ أَكْثَرَ مِنْهُ في أَيِّ وَقْتٍ مَضَى ، وَمِن رِعْدَتِه هَتَفَ بالجِنِّيِّ قَائِلًا: «قُلْ لي مَن أَنْتَ؟»
ـ أَنا الجِنِّيُّ ، خَادِمُ الخَاتَمِ الَّذي في يَدِكَ . إِنِّي أَصْنَعُ لَكَ ما تُرِيدُ كُلَّمَا حَكَكْتَ هٰذَا الخَاتَم.
عِنْدَئِذٍ مَلَكَ عَلَاءٌ نَفْسَهُ مِنَ الخَوْفِ وَأَمَرَ الجِنِّيَّ قَائِلاً :
ـ إِحْمِلْ هٰذَا المِصْبَاحَ ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ هٰذَا المَكَانِ .
في لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَنِ كَانَ لِعَلَاءٍ مَا أَمَرَ .
وَفي نُورِ الشَّمْسِ عَادَ عَلَاءٌ فَحَكَّ الخَاتَمَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَظَهَرَ الجِنِّيُّ هَاتِفاً: لَبَّيْكَ ، عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ !
فَقَالَ عَلَاءٌ: «طِرْ بي وَضَعْنِي عِنْدَ أُمِّي !
وَقَبْلَمَا يَلْفُظُ عَلَاءٌ آخِرَ كَلِمَة مِنْ أَمْرِهِ ، رَأَى نَفْسَهُ أَمَامَ البَيْتِ .

فَأَسْرَعَتْ وَالِدَتُهُ إِلَيْهِ بَاكِيَةً مِنْ فَرَحِهَا بِعَوْدَتِهِ . ثُمَّ جَلَسَ وَحَكَى مَا جَرَى لَهُ مَعَ الرَّجُلِ . فَرَاحَتِ المِسْكِينَةُ تَتَنَدَّمُ وَتَلومُ نَفْسَهَا عَلَى تَصْدِيقِ ذٰلِكَ الغَرِيبِ الشِّرِيرِ .
فَقَالَ لَهَا عَلَاءُ الدِّينِ: «امْسَحِي دُمُوعَكِ يا أُمِّي ، وَدَعِينَا نَتَنَاوَلْ شَيْئاً مِنَ الطَّعَام !»
فَتَنَهَّدَتِ الأَرْمَلَةُ حَسْرَةً وَقَالَتْ :
ـ مِنَ الأَسَفِ يَا بُنَيَّ ، أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَنَا كِسْرَةٌ مِنَ الخُبْزِ . رُبَّمَا لَوْ جَلَوْتُ هٰذَا المِصْبَاحَ العَتِيقَ ، يُمْكِنُنِي مِنْ ثَمَّ أَنْ أَبِيعَهُ في السُّوقِ ، وَأَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ شَيْئاً نَأْكُلُهُ اليَوْمَ .
فَمَا كَادَتْ تَأْخُذُ المِصْبَاحَ وَتَبْدَأُ تَفْرُكُهُ بِيَدِهَا حَتَّى انْتَصَبَ في الغُرْفَةِ جِنِّيٌّ وَهَتَفَ:
ـ أَنَا هُوَ خادِمُ هٰذَا المِصْبَاحِ . وَإِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَن أُلَبِّيَ كُلَّ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ مَالِكُهُ .
فَأُغْمِيَ عَلَى المَرْأَةِ مِنَ الخَوْفِ . لَكِنَّ عَلَاءَ الدِّينِ تَقَدَّمَ وَقَالَ لِلْجِنِّيِّ:
ـ أَعِدَّ لَنا شَيْئاً نَأْكُلُهُ .
فَاخْتَفَى الجِنِّيُّ ثُمَّ عَادَ في طَرْفَةِ عَيْنٍ بِمَائِدَةٍ تَمِيدُ بِمَا لَذَّ وَطَابَ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَفَاكِهَةٍ ، في آنِيَةٍ مِنَ الفِضَّةِ . فَلَمَّا شَمَّتِ الأُمُّ رَائِحَةَ الطَّعَامِ أَفَاقَتْ مِن إِغْمَائِهَا .

وَأَقْبَلَتْ مَعَ ابنِهَا عَلاءِ الدِّينِ على المائِدَةِ ، فَأَكَلا حَتّى شَبِعا . وَبَقِيَ مِنَ الطَّعامِ شَيءٌ كَثيرٌ .

في صَباحِ يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ ، بَيْنَما كانَ عَلاءٌ في السُّوقِ ، أَقْبَلَ الجُنودُ وَقَدْ أَقَاموا السُّوقَ وَأَقْعَدُوها مِنَ الضَّجَّةِ وَقَعْقَعَةِ السِّلاحِ ، يَأْمُرونَ النّاسَ بِأَنْ يَخْتَبِئُوا في بُيُوتِهِمْ . فالأَميرَةُ خارِجَةٌ مِنَ القَصْرِ وَمارَّةٌ في السُّوقِ ، وَلا يُؤْذَنُ لأَحَدٍ مِنَ الشَّعْبِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْها .

وَلَكِنَّ عَلاءَ الدِّينِ كانَ شَديدَ الرَّغْبَةِ في مُشاهَدَتِها ، فاخْتَبَأَ وَراءَ أَحَدِ الأَبْوابِ وَأَغْلَقَهُ تارِكاً فيهِ مَنْفَذاً لِنَظَرِهِ . فَاقْبَلَتِ الأَميرَةُ في مَحَفَّتِها المُرَصَّعَةِ بالجَواهِرِ يَحْمِلُها أَرْبَعَةُ رِجالٍ في أَفْخَرِ لِباسٍ. فَأَمالَتْ حِجابَها الرَّقيقَ لَحْظَةً ، فاسْتَطاعَ عَلاءٌ أَنْ يَخْطِفَ لَمْحَةً مِنْ وَجْهِها ، كانَتْ كافِيَةً لِتَحْكِيَ أَشْياءَ كَثيرَةً عَنْ جَمالِها . وَعَلَى الأَثَرِ أَسْرَعَ عَلاءُ الدِّينِ إلى البَيْتِ ، وَنادَى أُمَّهُ قائِلًا:

– أُمّي! إِنِّي وَاقِعٌ في حُبِّ ابْنَةِ الإمْبَراطُورِ. أَرْجُو مِنْكِ أَنْ تَمْضِي إِلَيْهِ وَتَقُولي لَهُ إِني أُريدُ أَنْ أَتزَوَّجَ الأَميرَةَ.

لَمَّا سَمِعَتِ المَرْأَةُ المِسْكينَةُ هٰذا الكَلامَ تراءَى لَها أَنَّ ابْنَها مُصابٌ بالحُمَّى، لِذلِكَ فَهُوَ يَهْذي بِكَلامٍ لا يُدْرِكُ مَعْناهُ. ثُمَّ كَلَّمَتْهُ بِلَهْجَةٍ رَقيقَةٍ مُحاوِلَةً أَنْ تُعيدَهُ إِلى صَوابِهِ قائِلَةً: «كَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أَفْعَلَ يا بُنَي؟»

وَلَكِنَّها فَتَحَتْ عَيْنَيْنِ واسِعَتَيْنِ ذاهِلَتَيْنِ ، لَمَّا أَراها عَلاءُ الدِّينِ حَفْنَةً مَمْلُوءَةً مِنَ الثِمارِ الجَواهِرِ الَّتي قَطَفَها مِنَ الجَنَّةِ المَوْجُودَةِ تَحْتَ الجَبَلِ. فَجَعَلَ عَلاءٌ هٰذِهِ الثِمارَ عَلَى طَبَقٍ وَغَطَّاها بِقِطْعَةٍ مِنَ الحَريرِ وَقالَ لِوالِدَتِهِ:





ـ خُذي هٰذِهِ الجَواهِرَ هَدِيَّةً لِلإِمْبَراطُورِ وَإِخْبِريهِ عَنْ حُبِّي الشَّديدِ لإِبْنَتِهِ .

فَحَمَلَتِ الأُمُّ الهَدِيَّةَ وَقَصَدَتِ القَصْرَ . وبَقِيَتْ مُنْتَظِرَةً مِنَ الصَّباحِ حَتَّى الظَّهيرَةِ ، لِتَجِدَ فُرْصَةً مُناسِبَةً لِلدُّخولِ عَلَى الإِمْبَراطُورِ .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ اسْتِقْبالاتِهِ ، وَصارَ وَحْدَهُ في الدِّيوانِ ، تَقَدَّمَتْ مِنْ كَبيرِ وُزَرائِهِ وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ تُقابِلَ الإِمْبَراطُورَ . فَقادَها إِلَيْهِ ، فانْحَنَتْ خاضِعَةً لَدَيْهِ ، ثُمَّ كَشَفَتْ عَنْ الطَّبَقِ الَّذي حَمَلَتْهُ هَدِيَّةً . فَلَمَعَتِ الأَثْمارُ الجَواهِرُ ، بِأَشْكالٍ وَأَلْوانٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، فَلَمْ يُخْفِ الإِمْبَراطُورُ إِعْجابَهُ بِها .

فَقالَتْ أُمُّ عَلاءٍ : «هٰذِهِ هَدِيَّةُ ابْني عَلاءِ الدّينِ إِلَيْكُمْ يا جَلالَةَ الإِمْبَراطُورِ . وَبِهٰذِهِ المُناسَبَةِ يَتَشَرَّفُ بِأَنْ يَخْطُبَ إِلَيْكُمْ يَدَ فَتاتِكُمْ .»

أَجابَ الإِمْبَراطُورُ ، وَيدُهُ تُقَلِّبُ تِلْكَ الجَواهِرَ : «يَبْدُو أَنَّ إِبْنَكِ رَجُلٌ مُقْتَدِرٌ غَنِيٌّ . » ثُمَّ هَمَسَ لِلْوَزيرِ قائِلًا : «مَعَ أَني أَتَعَجَّبُ لماذا تَلْبِسُ ثِياباً فَقيرَةً كَهٰذِهِ أُمُّ رَجُلٍ قَديرٍ ثَرِيٍّ ، فما أَراني مُمْتَنِعاً عَنْ إِجابَةِ طَلَبِها . »

ثُمَّ نَظَرَ الإِمْبَرَاطُورُ الى أُمِّ عَلاءٍ مُبْتَسِماً وَقَالَ:
أَرَاني حَقًّا سَعِيداً بِأَنْ أُزوِّجَ ابْنَتِي مِنْ وَلَدِكِ، عَلَى أَنْ يَبْنِيَ لَهَا أَوَّلاً ـ قَصْراً فَخْماً في الحَ
المَلَكِيَّةِ. وَحِينَ يَتِمُّ بِنَاءُ القَصْرِ وَيَكْمُلُ بالأَثَاثِ والرِّياشِ تَعُودِينَ إِلَيَّ مَعَ ابْنِكِ، فَنُعَيِّنُ مَوْعِدَ الزِّ
فانْحَنَتِ المَرْأَةُ المِسْكِينَةُ حَتَّى مَسَّ جَبِينُهَا الأَرْضَ أَمَامَ عَرْشِ الإِمْبَرَاطُورِ، وَرَاحَ هو وَ
الأَكْبَرُ يَتَضَاحَكَانِ.
فَنَهَضَتْ أُمُّ عَلاءٍ وَأَسْرَعَتْ إلى ابْنِهَا تَهْتِفُ بِهِ قَائِلَةً: «لَقَدْ جَعَلُوا مِنْكَ أُضْحُوكَةً في
يا بُنَي!»
فَلَمْ يَهْتَمَّ عَلاءُ الدِّينِ لِمَا سَمِعَ. بل سَأَلَ أُمَّهُ قَائِلًا:
ـ كَيْفَ اسْتَقْبَلَكِ الإِمْبَرَاطُورُ؟ وَمَاذا قَالَ لَكِ؟
ـ أَوَّلًا. قَبِلَ الهَدِيَّةَ وَأَظْهَرَ سُرُورَهُ بِهَا. ثُمَّ قَالَ إِنهُ يُوَافِقُ عَلَى زَوَاجِكَ بابْنَتِهِ بِشَرْطِ أَنْ
لَهَا قَصْراً فَخْماً في الحَدِيقَةِ المَلَكِيَّةِ. ثُمَّ نَظَرَ إلى كَبِيرِ وُزَرَائِهِ وَأَخَذَا يَتَضَاحَكَانِ.
فابْتَسَم عَلاءُ الدِّينِ قَائِلًا: «أَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ يا أُمِّي سَتَكُونِينَ راضية...»
ثُمَّ تَنَاوَلَ المِصْبَاحَ العَجِيبَ عَنِ الصِّوَانِ وَحَكَّهُ. فَظَهَرَ الجِنِّيُّ لَدَيْهِ في لَحْظَة:
ـ لَبَّيْكَ: عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ.
قَالَ عَلاءٌ: «أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُقِيمَ لي قَصْراً في الحَدِيقَةِ المَلَكِيَّةِ أَجْمَلَ وَأَفْخَمَ مِن قَصْرِ الإِمْبَرَاطُورِ. إِجْعَلْ حِيطَانَهُ مِنَ الذَّهَبِ الصُّلْبِ وَإِطَارَاتِ نَوَافِذِهِ مِنَ الجَوَاهِرِ. وَلْيَكُنْ أَثَاثُهُ مِنْ خَشَبِ الأَبْنُوسِ، وَمِنَ العَاجِ... وَأَسِرَّتُهُ مُرَصَّعَةً بالجَوَاهِرِ وَآنِيَتُهُ مِنَ البِلَّوْرِ والذَّهَبِ. وَلَا تَنْسَ مَرَابِطَ الجِيَادِ وَمَرَائِبَ العَرَبَاتِ. والجِيَادَ الرَّائِعَةَ الجَمَالِ. ثُمَّ مُدَّ سَجَّادَةً غَنِيَّةً بالرُّسُومِ والأَلْوَانِ مِنْ قَصْرِ الإِمْبَرَاطُورِ إلى القَصْرِ الجَدِيدِ. وَلْتَكُنْ الكَرَاسِيُّ والأَرَائِكُ مُنَجَّدَةً بِرِيشِ النَّعَامِ، وَمَكْسُوَّةً بالمخْمَلِ والحَرِيرِ بِحَسَبِ ذَوْقِكَ المُتَفَوِّقِ أَيُّهَا الجِنِّيُّ الذَّكِيُّ!»
واخْتَفَى الجِنيُّ. وَتَنَهَّدَ عَلاءُ الدِّينِ ارْتِياحاً. ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهِ مِنْ جَدِيدٍ فَإِذَا الجِنِّيُّ لَدَيْهِ هَاتِفاً:
ـ لَقَدْ تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ يا سَيِّدِي! وَصَارَ الخَدَمُ في القَصْرِ الجَدِيدِ وَقَدْ أَعَدُّوا كُلَّ ما يَلْزَمُ لِوَلِيمَةِ العُرْسِ.
فَفَرِحَ عَلاءُ الدِّينِ بِمَا تَمَّ لَهُ. وَطَلَبَ مِنَ الجِنِّيِّ أَنْ يُلْبِسَ وَالِدَتَهُ أَحْسَنَ لِبَاسٍ وَيَجْعَلَ في جِيدِهَا وَيَدِهَا أَثْمَنَ الجَوَاهِرِ. فَفَعَلَ. ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُحَضِّرَ مِئَةً مِنَ الفُرْسَانِ عَلَى أَحْسَنِ

الجِيادِ . وَأَنْ يَمُدَّ سَجَّادَةً مِنَ الكُوخِ إلى القَصْرِ . فَفَعَلَ الجِنِّيُّ بِمَا أُمِرَ . وَظَهَرَتْ أُمُّ ضِيَاءٍ في جَدِيدِهَا وَزِينَتِهَا عَلَى رَأْسِ الفُرْسَانِ كَأَنَّهَا مَلِكَةٌ .

فَفَرِحَ عَلَاءُ الدِّينِ كُلَّ الفَرَحِ وَطَلَبَ من الجِنِّيِّ أن يُعْطِيَ الفُرْسَانَ أَبَارِيقَ مَلْأَى بالنُّقُودِ لِيَنْثُرُوهَا عَلَى الجَمَاهِيرِ وَهُمْ في الطَّرِيقِ إلى القَصْرِ .

وَلَمَّا تَمَّ لَهُ ما أَرَادَ شَكَرَ الجِنِّيَّ . وَحَمَلَ المِصْبَاحَ في رُدْنِهِ الوَاسِعِ ، وَخَرَجَ في مَوْكِبِهِ الْعَظِيمِ . وَخَرَجَ الشَّعْبُ يَتَفَرَّجُ عَلَى المَوْكِبِ وَنَثَرَ الفُرْسَانُ عَلَيْهِم النُّقُودَ فَتَهَاتَفُوا بِحَيَاةِ عَلَاءِ الدِّينِ والأَمِيرَةِ .

وَأَطَلَّ الإِمْبَرَاطُورُ والوَزِيرُ وَأَبْصَرَا القَصْرَ والمَوْكِبَ الْعَظِيمَ فَأُدْهِشَا . وَلَمَّا وَصَلَ عَلَاءُ الدِّينِ وَأُمُّهُ اسْتَقْبَلَهَا الإِمْبَرَاطُورُ مُرَحِّباً وَوَافَقَ على زَوَاجِ ابْنَتِهِ بِعَلَاءِ الدِّينِ . وَأَحَبَّتِ الأَمِيرَةُ عَلَاءَ الدِّينِ لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ . وقَامَتْ في المَدِينَةِ أَعْيَادٌ حَافِلَةٌ .



انْتَشَرَ خَبَرُ زِوَاجِ الأَمِيرَةِ في كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى انْتَهَى إلى السَّاحِرِ الَّذي أَرْسَلَ عَلاءَ الدِّينِ لِيَأْتِيَ بالمِصْبَاحِ . وَكَانَ قَدْ عَادَ إلى إفْرِيقِيَا يَائِساً . فَلَمَّا سَمِعَ عَنِ الفَتَى الَّذي أَقَامَ قَصْراً عَجِيباً في طَرْفَةِ عَيْنٍ ، عَرَفَ أَنَّ عَلاءَ الدِّينِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَخَلَّصَ لأَنَّهُ أَدْرَكَ سِرَّ المِصْبَاحِ . فَسَافَرَ عَلَى الأَثَرِ إلى الصِّينِ ، وَلَا غَايَةَ لَهُ إلَّا أَنْ يَجِدَ قَصْرَ عَلاءِ الدِّينِ .

في ذَاتِ يَوْمٍ رَأَى عَلَاءَ خَارِجاً مِنَ القَصْرِ عَلَى رَأْسِ مِئَةِ فَارِسٍ . وَكَانَ الإِمْبَرَاطُورُ قَدِ اخْتَارَ صِهْرَهُ عَلَاءَ الدِّينِ لِوَاجِبٍ في الجِوَارِ .

فَتَزَيَّا ذَلِكَ السَّاحِرُ الخَبِيثُ بِزِيِّ بَيَّاعٍ بَدَّالٍ ، وَعَلَّقَ بِكَتِفَيْهِ كِيساً مَمْلُوءاً بِمَصَابِيحَ جَدِيدَةٍ لَامِعَةٍ ، وَرَاحَ يَدُورُ حَوْلَ القَصْرِ الذَّهَبِيِّ وَيُنَادِي عَلَى بِضَاعَتِهِ : «يَا مَنْ يُبَدِّلُ مَصَابِيحَ عَتِيقَةً بِمَصَابِيحَ جَدِيدَةٍ . مَصَابِيحُ عَتِيقَةٌ بِمَصَابِيحَ جَدِيدَةٍ ...»

فَأَطَلَّتْ خَادِمٌ حَمْقَاءُ وَنَادَتِ السَّاحِرَ قَائِلَةً : «تَعْنِي أَنَّكَ تُعْطِينِي مِصْبَاحاً جَدِيداً لَامِعاً ، فَأُعْطِيكَ مِصْبَاحاً عَتِيقاً مُبَقَّعاً ؟»

فَابْتَسَمَ لَهَا السَّاحِرُ المَاكِرُ وَتَلَطَّفَ قَائِلاً : «مِنْ كُلِّ بُدٍّ يَا سَيِّدَتِي ، إفْعَلِي !»

فَأَسْرَعَتِ الخَادِمُ الحَمْقَاءُ إلى غُرْفَةِ سَيِّدِهَا فَاخْتَطَفَتِ المِصْبَاحَ المَوْضُوعَ على الرَّفِّ وَهِيَ تَقُولُ في ذَاتِهَا : «إنَّ الأَمِيرَ والأَمِيرَةَ سَيُسَرَّانِ مِنِّي غَايَةَ السُّرُورِ حِينَ يَعْلَمَانِ بالأَمْرِ .»





وَعَادَتْ إلى السَّاحِرِ الَّذي كَانَ يَنْتَظِرُهَا باسِماً ، فأَعْطَتْهُ المِصْبَاحَ الَّذي جَاءَتْ بِهِ وَأَخَذَتْ مِصْبَاحاً جَدِيداً بَدَلًا مِنْهُ .

وَمَا كَادَتِ الخَادِمُ تَدْخُلُ القَصْرَ حَتَّى حَكَّ السَّاحِرُ المِصْبَاحَ . فَظَهَرَ الجِنِّيُّ مُسْتَعِدًّا لِخِدْمَتِهِ فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْقُلَ القَصْرَ بِأَهْلِهِ إلى أَفْرِيقيا . فَكَانَ لَهُ مَا طَلَبَ .

فَلَمَّا عَادَ عَلَاءُ الدِّينِ مِنْ بَعْثَتِهِ ، اسْتَقْبَلَهُ الإِمْبَرَاطُورُ ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِهِ كَالْمَجْنُونِ : « ذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ ، القَصْرُ ، والأَميرَةُ والخَدَمُ . تَلَاشَى كُلُّ شَيْءٍ في لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . » وَرَاحَ يَنْدُبُ باكِياً ابْنَتَهُ .

أَمَّا عَلَاءُ الدِّينِ ، فَلَمْ يُضَيِّعْ لَحْظَةً في البُكَاءِ والنُّوَاحِ . بَلْ بَادَرَ خُدَّامَ الإِمْبَرَاطُورِ بالسُّؤَالِ عَنِ الأَمْرِ . فَقِيلَ لَهُ إِنَّ بَدَّالًا بِلِحْيَةٍ طَوِيلَةٍ وَشَارِبَيْنِ دَقِيقَيْنِ مُسْتَرْسِلَيْنِ كَانَ يَتَجَوَّلُ قُرْبَ القَصْرِ وَيَبِيعُ مَصَابِيحَ جَدِيدَةً بِمَصَابِيحَ عَتِيقَةٍ . فَتَأَكَّدَ لَهُ أَنَّهُ السَّاحِرُ المَاكِرُ الَّذي تَظَاهَرَ بِأَنَّــهُ عَمُّهُ . وَفَرَكَ الخَاتَمَ الَّذي في إِصْبَعِهِ ، فَظَهَرَ لَهُ الجِنِّيُّ في طَرْفَةِ عَيْنٍ ، فَأَمَرَهُ عَلَاءُ الدِّينِ بِإِعَادَةِ القَصْرِ وَسَاكِنِيهِ . فَأَجَابَ الجِنِّيُّ :

ـ إنَّ هٰذا ليْسَ في قُدْرَتي يا سَيِّدي . القَصْرُ مِنِ اخْتِصَاصِ خَادِمِ المِصْبَاحِ .

ـ إذَن ، إنْقُلْني في الحَالِ إلى أَمَامِ قَصْرِي .

في لَحْظَة صَارَ عَلاءُ أَمَامَ قَصْرِهِ في أَفريقيا . فاخْتَبَأَ حَتَّى رأى وَاحِدَةً مِنَ الخَوَادِمِ يَثِقُ بِهَا قَدْ أَطَلَّتْ مِنْ إحْدَى نَوافِذِ القَصْرِ . فَطَلَبَ مِنْهَا عَلاءُ الدِّينِ أَنْ تَقُودَهُ إلى غُرْفَةِ سَيِّدَتِهَا. فَمَا كَادَتِ الأَميرَةُ تَرَاه حَتَّى عَانَقَتْهُ فَرِحَةً . فَتَدَبَّرَ مَعَهَا خِطَّةً . وانْسَلَّ مِنَ القَصْرِ ، فَجَاءَهَا بِمَسْحُوقٍ مُنَوِّمٍ لِتَضَعَ مِنْهُ في شَرَابِ السَّاحِرِ ، واخْتَبَأَ .

وَعَادَ السَّاحِرُ وَطَلَبَ الشَّرَابَ . فَقَدَّمَتْ لَهُ الأَميرَةُ الكَأْسَ فَجَرَعَهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً . فَغَرِقَ للحَالِ ، في نَوْمٍ عَميقٍ ، وَرَاحَ يَهذي في نَوْمِهِ قَائِلًا : «المِصْبَاحُ العَجيبُ في الأَرْدَانِ الوَاسِعَةِ» فَخَرَجَ عَلاءُ الدِّينِ مِن مَخْبَئِهِ وَعَثَرَ عَلَى المِصْبَاحِ وَفَرَكَهُ فَظَهَرَ الجِنِّيُّ : «لَبَّيْكَ يَا سَيِّدي !»

ـ أُنْقُلْنَا جَميعاً في هٰذَا القَصْرِ إلى الوَطَنِ . أُمْحُ أَثَرَ هٰذَا السَّاحِرِ مِنَ الوُجُودِ .

في لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَنِ عَادَ القَصْرُ وَمَن فِيهِ إلى مَكَانِهِ في سَاحَةِ الإِمْبَرَاطُورِ في الصِّينِ . وَتَلاشَى السَّاحِرُ المَاكِرُ غُبَاراً . وَعَاشَ عَلاءُ الدِّينِ وَزَوْجَتُهُ الأَميرَةُ في هَنَاءٍ وَسَعَادَةٍ في قَصْرِهِمَا الذَّهَبِيِّ آمِنَيْنِ .



حكايات كل زمان

- الزناد السحري
- رمّودة
- حكاية من الشرق
- ثليجة البيضاء
- مصباح علاء الدين
- بولي وديندي
- غابة السهم الذهبي
- الأمير إيفان والعصفور الذهبي
- أبو قير وأبو صير
- علي بابا واللصوص الأربعون
- هنسل وغريتل
- الأميرة وراعي الماعز
- البلبل
- الإخوة الثلاثة والكنز
- الزهو البري
- أبو جزمة
- شرشوح
- ٥ في قرن بازلاّ
- السمكة الذهبية
- الملك الضفدع
- جوقة مدينة بريما
- الناي السحري
- الذئب والعنزات السبع
- الأمير دراغون
- الوزة السحرية
- حصن الثوم
- الفول السحري
- الحمار الذهبي
- وريدة الحمراء وثليجة البيضاء
- قرة العين
- القزم وابنة الطحان
- الحية البيضاء
- الشاب المحظوظ
- جميلة الغابة
- راعية الوز
- جوهرة
- الغربان السبعة
- الأميرة المحبوبة

منشورات مكتبة سمير
شارع غورو • هاتف : ٢٢٦٠٨٥ • بيروت


مسح واعداد : احمد هاشم الزبيدي
Ahmed Hashim Al-zubaidy
ARABCOMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
دار ثقافة الأطفال
مكتبة سمير
دار المسيرة
NATIONAL GEOGRAPHIC
هذا العمل هو لعشاق الكوميكس ، و هو لغير أهداف ربحية ولتوفير المتعة الأدبية فقط ، الرجاء حذف هذا العدد بعد قراءته ، و ابتياع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها...
This is a Fan base production , not for sale or ebay , please delete the file after reading, and buy the original release when it hits the market to support its continuity